حركة فتح تحاول أن تنظم بدء المقاومة في المدينة وحولها، ولكن النجاحات في المنطقة محدودة للغاية حيث يقوم المحتلون باعتقال مجموعات تحاول البدء بالمقاومة، أو تكون قد بدأت فعلاً بداياتها الأولى، ولما تنجح في الوقوف على قدميها بعد، ولعل انشغال الناس بأمور حياتهم والإنتاج الاقتصادي وآفاق النجاح تحول دون نجاح المقاومة في المنطقة وتحولها إلى مظاهر بارزة وسائدة فيها.

ولكن بدأت في المدينة حركة احتجاجات سياسية ينظمها أعضاء مؤيدون لحركة فتح خاصة في الأوساط الطلابية، كما أن هناك محاولات لبدء العمل من قبل الجبهة الشعبية، ونظراً لعدم النجاح الواضح في مجال المقاومة فإن النشاط تركّز على العمل السياسي والشعبي، وبعض الأنشطة الاجتماعية. كان خالي يستمع باهتمام لزوج خالتي "عبد الفتاح" وهو يصف الوضع في المنطقة بصورة تفصيلية، ويطرح عليه بعض الأسئلة الاستيضاحية بين الحين والآخر، ليعرف كل صغيرة وكبيرة محاولاً فهم الفوارق بين الوضع في الضفة الغربية وبين قطاع غزة.

ففي قطاع غزة كانت قوات التحرير الشعبية التي جاءت لتجمع ضباطاً ومقاتلين من جيش تحرير فلسطين الذي تفكك في حرب ١٩٦٧، وكانت قوات التحرير هي التجمع المقاوم الأكبر، وفي نفس الوقت بدأت المقاومة بمجموعات لفتح وللجبهة الشعبية، ومستوى المقاومة في قطاع غزة بصورة عامة جيد، رغم النجاحات التي يحققها الاحتلال في اغتيال بعض القيادات وفي مزيد من التغلغل في المنطقة ومعرفة المزيد من أسرارها.

بعد أيام من مغادرة خالتي سرى في الحارة خبر أن هناك عميلة مقتولة وجثتها ملقاة غربي منطقة المشتى، بدأنا نتدافع للذهاب لرؤية الجثة هناك كالعادة حينما يسري خبر كذلك وقد كانت الجثة ملقاة هناك، لم يعرف أحدُ بالضبط من الذي قتل تلك الصبية، فقد سرت إشاعة أنها عميلة وقتلت على تلك الخلفية. لم يجرؤ أحدُ على رفع صوته معترضاً على ذلك أو متسائلاً عن التفاصيل، ولكن الهمهمة والهمس في الحارة سادت، حيث تردد أنها ليست عميلة، وأن بعض من تقمصوا صورة الفدائيين استغلوا حصانتهم وخدعوها، ثم هتكوا عرضها، وخشية أن ينفضحوا قتلوها واتهموها بأنها عميلة، فمخابرات الاحتلال كثفت عملها للتغلغل في أوساط الشعب مستغلة نقاط الضعف والحاجة والفقر، وعملت على تجنيد العملاء الذين ينقلون لها المعلومات عن المقاومين وتحركاتهم ومن يؤونهم ويساعدونهم في كل مناسبة وفي غير مناسبات.